خطبة صلاة الجمعة 27/ 8/ 2021 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

## (فضل حُسن الخُلق بين الزوجين)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (11) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة: 11، 12].

الوعي في اللغة يدل على فهم الشيء وحفظه وفقهه والإحاطة به.

والأذن الواعية هي أذن سَمِعَتْ وَعَقَلَتْ مَا سَمِعَتْ، أو هي أُذُنٌ تحفظُ ما سمعَتْ، وتفكر فيه وتعمل بموجِبِه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا؛ ثم بلغها، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ» [أخرجه الترمذي والطبراني واللفظ له وغيرهما].

هذه هي الخطبة السابعة والعشرون في سلسلة عنوانها (**توعية**)، أعرض لكم فيها صوراً وأحداثاً من علاقاتنا الأسرية ومعاملاتنا المالية؛ صحيحةً مرة لنُعَمِّم خيرها وننشر فضلها، وخاطئةً أو مخطئةً مرة لنَحْذَر شرها ونترك فعلَها؛ وفي كلتا الحالتين نفيد وعياً وفهماً.

يحب الإسلام أن يتحلى أبناؤه بالعلم، ويتزينوا بالفهم، ويتجملوا بالحكمة، ويتمسكوا بالتعقل والتدبر والوعي.

وعلى الطرف الآخر يكره الإسلام مخالطة الجاهلين، وصحبة السفهاء والمغفلين.

عنوان خطبة اليوم: **فضل حسن الخلق بين الزوجين**

في برنامج إذاعي وعلى الهواء مباشرة اتصل رجل ستيني ليقول إنه صاحب خلق سيء ولكن زوجته بصبرها عليه ثلاثين سنة وحُسن خُلقها، قلبته من سوء الخُلق إلى حُسنه، وإنه اليوم لا يعمل عملاً صالحاً إلا وهو في صحيفة هذه الزوجة الصابرة الخلوقة.

حسن الخلق بين الزوجين بركة ونماء!

تزوج شاب قليل ذات اليد من فتاة صالحة وكانت ليلةُ عرسهما ليلةَ نزول الأمطار الغزيرة في مدينتهما، ولما كان بيته قديم البناء متشقق السقف تسلل ماء المطر إلى غرفة العروسين وغطى السجادة بالماء، ليستيقظا في صباح العرس على هذا المنظر.

وإذا بالزوج يدخل ويخرج مضطرباً مما رأى، وعلمت زوجه حرجه منها، فبادرته القول: لا يزعجنك الأمر، سينقطع المطر بعد قليل، فأُخْرِج أنا وأنت السجادة إلى صحن الدار لتجففها الشمس، فنزل كلامها على قلبه برداً وسلاماً.

حسن الخلق بين الزوجين بركة ونماء!

مرضت زوجة أحد الشيوخ مرضاً أقعدها في الفراش طويلاً فعكف الشيخ على خدمة زوجته وتمريضها، إذ لم يرزقا ولداً حياتهما، وقد كان للشيخ دروس ومحاضرات فاقتصر منها على درس واحد بين المغرب والعشاء كل يوم، وحضورِ صلوات المسجد ليبقى سائر وقته مع زوجته، ولما توفاها الله بعد سنوات حزن لفقدها حزناً شديداً، وفي مجلس العزاء تكلم أحد طلاب الشيخ كلمة ألمح فيها إلى أن الله تعالى خفف بوفاتها عن الشيخ عناءه معها، فلما أراد المتكلم الانصراف سلم عليه الشيخ دامع العين وقال: كنت أتمنى بقاءها دهراً وأخدمها، ولكن قدر الله غالب.

حسن الخلق بين الزوجين بركة ونماء!

تزوجت فتاة صيدلانية من شاب أديب صالح، وأنجبا طفلين ثم أصيب الزوج باضطرابٍ نفسي سماه لها الأطباء المتخصصون اضطرابَ ثنائي القطب تعتري فيه زوجَها نوباتٌ من الاكتئاب ونوبات من الابتهاج غير الطبيعي، وربما كان يقوم أحياناً بأعمال غير مسؤولة أو مدروسة العواقب.

جاء من يقول لهذه الزوجة بأنها ليست ملزمةً بالبقاء معه.! لكنها قررت البقاء بقربه ورعايته في مرضه وصحته وكانت تحفظ له أدبَه معها ومحبتَه لها وصلاحَه، وتعلم أن الشفاء والمرض بيد الله تعالى، وتعلم أن حسن الخلق بين الزوجين بركة ونماء!

تزوج أستاذ جامعي معلمةً صالحة فكانت ترعى بيتها وعملها إلى أن مرضت والدة الزوج مرضاً شديدة فقررت الزوجة أن تعكف على خدمة حماتها إكراماً لزوجها، وهكذا فعلت.

حسن الخلق بين الزوجين بركة ونماء!

**أيها الإخوة:**

تعلمون أنّ الله تعالى يحبُّ مكارمَ الأخلاق وكذلك رسوله، فمن ازداد خُلقاً ازداد لله حباً، ومن نبيه صلى الله عليه وسلم قرباً، وإذا كان الخُلق الحسن مطلوباً مع الخلق جميعاً فإنه مع أقرب الناس إليك زوجتِك وزوجِك أشدُّ طلباً، فحسن الخلق بين الزوجين بركة ونماء!

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:195]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة:42]، وقال عليه الصلاة والسلام: «**أحبّ عباد الله إلى الله أحسنهم خُلقاً**» [الحاكم].

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إنَّ من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً**» [الترمذي].

قَالَتْ السيدة عائشة رضي الله عنها: (مَا كَانَ أَحَدٌ أَحْسَنَ خُلُقًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا دَعَاهُ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ إِلَّا قَالَ: لَبَّيْكَ).

وقعت سفانة بنت حاتم الطائي أسيرة بيد المسلمين، فلما رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم قامت فقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ! إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُخَلِّيَ عَنَّا وَلَا تُشْمِتْ بِي أَحْيَاءَ الْعَرَبِ فَإِنِّي ابْنَةُ سَيِّدِ قَوْمِي، وَإِنَّ أَبِي كَانَ يَحْمِي الذِّمَارَ، وَيَفُكُّ الْعَانِي، وَيُشْبِعُ الْجَائِعَ، وَيَكْسُو الْعَارِي، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَيُفْشِي السَّلَامَ، وَلَا يَرُدُّ طَالِبَ حَاجَةٍ قَطُّ، أَنَا ابْنَةُ حَاتِمٍ طَيِّءٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا جَارِيَةُ! هَذِهِ صِفَةُ الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا... خَلُّوا عَنْهَا فَإِنَّ أَبَاهَا كَانَ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ، وَاللهُ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ**»، فَقَامَ أَبُو بُرْدَةَ بْنُ دينار، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ إِلَّا بِحُسْنِ الخُلق**» [دلائل النبوة للبيهقي].

فقالت: يا رسول الله أتأذن لي أن أدعو لك بدعوات؟ فأذن لها، وقال لأصحابه: «**أنصتوا وعوا**»، فقالت: (شكرتك يد افتقرت بعد غنى، ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر، وأصاب الله بمعروفك مواضعه، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة، ولا سُلبت نعمة عن كريم إلّا وجعلت سبباً لردّها، وحسبك هذا في اصطناع المعروف وإغاثة الملهوف).

**أيها الإخوة:**

تعلمون أنّ إسلام المسلم لا يكتمل إلا بحُسن الخُلق وإذا كان الخُلق الحسن مطلوباً مع الخلق جميعاً فإنه مع أقرب الناس إليك زوجتِك وزوجِك أشدُّ طلباً، فحسن الخلق بين الزوجين بركة ونماء!

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إنَّ المؤمن ليُدرِك بحُسنِ خُلُقِه درجة الصائم القائم»** [أخرجه أبو داود]، وعند الطبراني، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إنَّ العبد ليبلغُ بحُسن خُلُقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف العبادة، وإنه ليبلغ بسوء خلقه أسفل درجة في جهنم»**.

عن أم الدرداء قالت: (قام أبو الدرداء ليلة يصلي، فجعل يبكي ويقول: اللهم أحسنت خَلقي فحسِّن خُلقي، حتى أصبح، فقلت: يا أبا الدرداء، ما كان دعاؤك منذ الليلة إلا في حسن الخلق؟! فقال: يا أم الدرداء، إنَّ العبد المسلم يحسِّن خلقَه حتى يدخله حُسْنُ خلقه الجنة، ويسيء خلقَه حتى يدخله سوء خلقه النار، والعبد المسلم يغفر له وهو نائم، فقلت: يا أبا الدرداء، كيف يغفر له وهو نائم؟! قال: يقوم أخوه من الليل فيتهجد فيدعو الله عز وجل فيستجيب له ويدعو لأخيه فيستجيب له فيه) [البخاري في الأدب المفرد، والبيهقي في الشعب].

فلا يكتمل إسلام المسلم حتى يستكمل الأخلاق الحميدة ويتخلى عن الذميمة، وليجعل ذلك مع أقرب الناس إليه أولاً ثم مع الأقرب فالأقرب وليبدأ بزوجته وتبدأ بزوجها، فحسن الخلق بين الزوجين نماء وبركة.

**أيها الإخوة:**

تعلمون أن الناس تحتاج الأخلاق التعاملية في الأوقات كلها لكنهم في الأزمات والشدائد أشدُّ لها حاجة.

وتعلمون أن الناس كلهم يحتاجون الأخلاق التعاملية ولكن الزوجين فيما بينهما أشدُّ لها حاجةً.

فقلّة موارد الزوج في زمن الشدة يعوّضه حُسن خُلق الزوجة بصبرها وتدبيرها، فطعام الرجل يكفي الرجلين.

وضيق صدر الزوجة في زمن الشدة يعوضه حسن خلق الزوج بلطفه ومباسطته، والكلمة الطيبة صدقة

فحسن الخلق بين الزوجين نماء وبركة.

**أيها الإخوة:**

هذا شيء من فضل حسن الخلق بين الزوجين، ومن سعادة ابن آدم حُسن خلقه، وإن من ساء خلُقه عذَّب نفسه.

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«ما شيءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ البذي»** [الترمذي].

والحمد لله رب العالمين